

منهجية بناء الخطاب المسجدي

(*) الدكتور. عبد القادر فضيل

يعتقل

الكثيرون أن الخطاب المسجدي لا يختلف في جوهره عن الخطاب التعليمي الذي يمارس في المدارس والمعاهد، ومع صفوف المتعلمين فكلاهما يهتم بإيصال المعارف والحقائق إلى أذهان المتلقين حتى ولو كانت هذه المعارف تختلف كمًّا ونوعًا من مستوى إلى آخر. ولكن الحقيقة غير ذلك، فالخطاب المسجدي يختلف كثيرا ومن أوجه عديدة عن الخطاب الذي يمارس في مجال التعليم المباشر أو المتخصص، لأن هذا الأخير موجه إلى طائفة متجانسة في الأعمار، ومتقاربة في المستويات المعرفية، وتلتقي جميعا عند هدف مرسوم لها، وتستطيع إبداء رأيها ويعتمد الخطاب معها في مجال التبليغ مستوى لغويا واحدا، ومنهجية موحدة، وأسلوبا بيداغوجيا يفرضه مستواهم الإدراكي والتعليمي.

بينما الخطاب المسجدي موجه لطوائف عديدة، ولأناس ذوي أعمار غير

متجانسة، ومستويات مختلفة ومتباينة في المجال الثقافي والمعرفي والمستوي الإدراكي مما يتطلب اختيار منهجية خاصة ولغة مشتركة وبسيطة وأسلوبا توجيهيا متنوعا، كما يتطلب الأمر اختيار موضوعات تتصل باهتمامات الناس كلهم صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم وتمس كل فئة من فئات المجتمع، وتعالج الانحرافات والاختلالات التي تلاحظ في أوساط المجتمع الذي يمثلونه، وحتى المحتويات التي يركز عليها الخطاب المسجدي تختلف عن المحتويات المقررة في مجالات التعليم المباشر. ومن هنا فالخطاب المسجدي يترجم التوجيه العلمي والديني والأخلاقي الذي تنبئه المؤسسة الدينية ومن ورائها المجتمع والجهاز المشرف على نشاط هذه المؤسسة في مجال الدعوة إلى الله وإلى الإيمان الحق، وتربية الناس كل الناس على حب الخير والصلاح والحق، ومحاربة الرذائل والآثام، وتعليمهم كيف يتعاملون مع بعضهم،

(*) مدير مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية، -بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف- الجزائر

وكيف يتعايشون مع الحياة في جوانبها المختلفة المادية والمعنوية.

وهو من جهة أخرى فضاء حضاري ثقافي تتناغم فيها اهتمامات الحاضر مع توجهات الماضي وتطلعات المستقبل ويسعى المجتمع من خلاله إلى استثمار فرص التلاقي بين المسلمين (عمار المساجد) في أوقات أداء العبادات، وتوجيههم الوجهة المطلوبة التي تتلاءم مع روح الشريعة ومع متطلبات نظام الحياة المجتمعية، والعمل من خلال هذا التوجيه على رص صفوفهم في إطار وحدة العقيدة وسمو الشعور الديني ليقوا على صلة دائمة بخالقهم، وبقيم دينهم، وليمارسوا في نطاق الشعور بهذه الصلة مراجعة مواقفهم وتصحيح مفاهيمهم وإصلاح أحوالهم، وتحديد ثقتهم بيوثهم الإسلامية حرصاً على ترقية سلوكهم الاجتماعي وجعله منسجماً مع ما يرتضيه الشرع وتزكية الإنسانية.

ومن هنا يتبين أن نسبة الخطاب إلى المسجد الذي هو منبع العلم والهداية منذ وجوده تعني أن للمسجد دوراً تربوياً رائداً، ورسالة حضارية هما أساس وجوده، ومحور نشاطه العلمي والديني والأخلاقي، لذا ينبغي أن يصب الخطاب المسجدي في هذا الاتجاه ليحدث الأثر

الفكري والتربوي المنشود، والذي يرحوه المجتمع، ويتطلع إليه الرأي العام، لأن غاية نشاطه تربية الناس وتوجيههم إلى ما يخدم دينهم وديناهم ويرقي حياتهم ويزكي نفوسهم ويقيهم على توافق وانسجام مع ذاتيتهم ومع مجتمعهم ومع القيم الخالدة التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، هذه القيم التي يجب أن تكون محور الخطاب المسجدي الذي نريد منه أن لا يخصص نفسه في التذكير بأحكام العبادات وبطرح ما يجوز وما لا يجوز من الأقوال والأفعال، لأن ما تنتظره الأمة من رسالة المسجد ومن الخطاب الذي يمارسه العاملون في هذا الحقل هو أشمل من ذلك وأعمق، فالمنتظر هو إعادة صياغة وجدان الإنسان المسلم بما يجعله يعي حقيقة الإسلام ويتحرك في إطارها ويعيشها فكراً وعقيدة وسلوكاً، وفق تحولات الواقع المتغير والحاجات المتجددة فالأهم إذن هو توجيه الناس والأجيال بصفة خاصة إلى كنه الحقيقة الإسلامية التي رسمها القرآن وأوضحها السنة النبوية وبينتها التجربة التاريخية التي جسدت الحضارة الإسلامية والحقيقة الإسلامية كما يراها العلماء المصلحون ومنهم ابن باديس^(١) والأفغاني وغيرهما من أولئك الذين أدركوا حقيقة الإسلام ووجهوا

للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه
لهذه أو من هذه وهذه)). [كشف الخفاء:
169/2].

هكذا ينبغي أن تكون توجيهات
الخطاب المسجدي في مضمونه وأهدافه
دعوة إلى الاستقامة في السلوك الظاهري
والباطني مع كل الناس حتى مع المخالفين
في العقيدة وإلى إعمال العقل في معالجة
الأمر الديني والدينية والاستفادة من
التطور العلمي والحضاري الذي يغمر
الحياة من حولنا.

ومن الأمور التي هي من صميم
الخطاب المسجدي بالإضافة إلى ما يتعلق
بالجوانب الشرعية التي تطرحها قضايا
الحياة المعاصرة ما له من صلة جوهرية
بحياة الأمة الإسلامية والأوضاع التي
تعيشها ثقافيا واقتصاديا وسياسيا، فلا بد
أن يتناول الخطاب المشكلات التي
تواجهها والتي تسهم معالجتها في النهوض
بواقعها، وترقية وعيها بذاتها، وتوجيهها
نحو الأخذ بأسباب التقدم، ودفعها إلى
المشاركة الإيجابية في الحياة المعاصرة
والإقبال على العلم والعمل والإنتاج:

لأن الغاية التي يجب أن يستهدفها
الممارس للخطاب المسجدي بالخصوص
هي الرقي بتفكير أفراد الأمة والسمو
بعقيدتهم إلى المستوى الذي يجعلهم قادرين

جهودهم الفكرية والعلمية لتبنيها؛ هذه
الحقيقة لا تنحصر في العبادات وبعض
المعاملات التي يلتزم بها الفرد التزاما
شخصيا، ولا في المعلومات والتعاليم التي
تلقن للناس ويوجه الاهتمام فيها إلى تربية
وجدانهم وتهذيب سلوكهم فحسب،
وتحمل فيها الجوانب المتعلقة بتنظيم الحياة
(حياة الناس) وتدريب شؤونهم وتحديد
المسؤوليات المنوطة بالفرد والجماعة،
وأساليب التحرك داخل المجتمع ومعه،
والعلاقات التي تربط الفرد بغيره، وبالحيط
الذي فيه (المحلي والعالمي).

فالإسلام من هذا المنظور ليس
اهتماما بالماضي والتراث وإغفالا للحاضر
والمستقبل، وليس انغلاقا على الذات،
وانقطاعا عن الدنيا والمتع المباحة
والنشاطات المادية التي لا تبعد الإنسان
عن دينه.

وهذا ينسجم مع ما يقرره الإسلام
من ضرورة الجمع بين الدين والدنيا
مصادقا لقوله: (وانتفع بما آتاك الله الدار
الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)

[القصص/77]، وقول الرسول صلى الله
عليه وسلم: ((ليس بخيركم من ترك دنياه
لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب
منهما جميعا)) ويروى: ((ليس خيركم من
ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة

على الفعل المبدع الذي يواجهون به مشكلات الحياة ويتكرون الحلول التي تلائم العصر، ويتخذون المواقف الإيجابية حين يكونون في مواجهة التحديات التي تعترضهم من غير أن يتخلوا عن أخلاقهم وعقيدتهم وخصوصياتهم الثقافية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن منطلقات الخطاب في مجال النهوض برسالة المسجد هي نظرة القرآن إلى الإنسان الذي هو المعنى بهذا الخطاب تلك النظرة التي لا تجزئ حقيقة الإنسان وإنما تنظر إليه نظرة كلية كما هو في واقع أمره، فهو (أي الإنسان) عقل وروح وجسم وغرائز ودوافع وإرادة وخلق وعمل⁽³⁾، هذه هي العناصر التي تشكل الوجود الإنساني بكامله كما ينظر إليه القرآن.

هذه العناصر هي التي يتوجه إليها الفعل التربوي والتوجيهي، فلا يهمل جانباً منها، لأنها جميعاً تكون الإنسان وترتقي بوجوده، فالإنسان بمكوناته هذه ليس كائناً منعزلاً عن الناس، ولا عن الحياة الاجتماعية والمحيط المادي، ولا هو بعيداً عن تأثيرات النشاط الذي يجري حوله والحراك الحضاري الذي يفرض عليه أن يسايره ويتفاعل معه، إنما هو جزء من هذا الوجود المتنوع يتأثر ويؤثر، وما على المسؤولين عن تربيته وتوجيهه والقائمين

على شؤون مجتمعه إلا مراعاة ذلك في معالجة اهتمامات الفرد والجماعة وقضاياهم المصيرية العاجلة والآجلة. ولكي يمارس الخطاب المسجدي مهامه ووظائفه على أكمل وجه يجب أن يبنى أساساً على:

1/ المعرفة الصحيحة للدين الإسلامي من خلال الرجوع إلى منابعه الصافية: القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح.

2/ امتلاك أداة الخطاب التي هي اللغة العربية وأساليب استخدامها في مجالات الاتصال والتواصل وفي مخاطبة العقل والوجدان.

3/ فهم الواقع الحضاري والمحيط الاجتماعي وصلة الإنسان بهذا المحيط.

4/ تبني منهجية فعالة في مجال التبليغ عند تناول القضايا الاجتماعية والاقتصادية في علاقاتها بالدين والحياة، تلك القضايا التي تحتاج إلى تحيينها وتحليل مركباتها وتوضيح إشكالاتها. إن هذه المنهجية تفرض نفسها عند مخاطبة الجماهير التي يوجه إليها الخطاب سواء في خطب الجمعة أو الدروس العامة أو في تنظيم حلقات المناقشة، أو في التظاهرات التي تعقد لإحياء المناسبات الدينية والوطنية والتاريخية أو في مجالات النشاط المسجدي عموماً.

ولعل أهم أساس تبنى عليه هذه المنهجية التي من شأنها أن تسهم في تحقيق رسالة المسجد، هو فن التبليغ الذي يشكل الأداة المثلى والسلاح المؤثر والأقدر على تحقيق التأثير والتغيير المنشود، إن هذا الفن لا بد منه لمن يشرح نفسه لممارسة الخطاب المسجدي، أو لأي عمل تربوي. وفيما يلي كلمة مختصرة عن هذا الفن الذي يمثل روح المنهج الديني يتبعه الخطاب التوجيهي والتربوي.

منهجية التبليغ أو فن التبليغ: التبليغ عملية فكرية لغوية تربوية يستخدمها كل من يمارس فعلا تثقيفيا أو توجيهيا دينيا أو عملا تربويا، أو لنقل هو وسيلة من الوسائل المثلى التي تعتمد في عمليات البناء الفكري والتنمية الوجدانية، والتهديب السلوكي، وترقية الوعي وإيصال المعرفة، فالتبليغ وظيفة من وظائف العلماء والمرشدين والإعلاميين باعتباره واجبا دينيا وأسلوبا تربويا ومطلبا اجتماعيا يمارسه كل من يتصدى لمهمة التعليم والتثقيف والتربية والتوجيه والإصلاح اقتداء بالمعلم الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كانت مهمته الأولى هداية الناس وتركيز نفوسهم وتبليغهم ما أمروا به.

قال تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) [المائدة/67]. وقد أكد ذلك الصحابة رضوان الله عليهم يوم عرفة في حجة الوداع حين سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيهم عنه فقالوا: (نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت فقال اللهم اشهد) [مسلم وأبو داود وابن ماجه] أي بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة.

وتأكيدا لهذه المعاني أوضح القرآن على لسان بعض الأنبياء أن وظيفتهم التبليغ والنصح (لأن الدين النصيحة) فقال على لسان نوح عليه السلام: (أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم) [الأعراف/72]. وقال على لسان هود عليه السلام: (أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) [الأعراف/68].

إذن تبين من هذا أن التبليغ وظيفة من وظائف الأنبياء وهو أيضا وظيفة من وظائف العلماء والأئمة الذين أمروا أن يسيروا على هدي الأنبياء والرسول لأنهم ورثة الأنبياء فالإمام أو العالم معلم ومرشد ومرشد ومصلح ووسيلتهما في ذلك منهجية التبليغ التي تعتمد أساسا العلم واللغة.

وغاية التبليغ هي أن يحصل التغيير والتعلم، وتبلغ الفكرة إلى الجمهور المستمع والمتلقي والقارئ ويتحقق التغيير المنشود والتحول المرتقب ويرتقي الوعي الفردي والجماعي.

إن التبليغ واجب ديني فرضه القرآن على العلماء ومن في حكمهم وتوعد من يتقاعس منهم عن أداء هذا الواجب الديني، قال تعالى: (إن الذين يكفون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) [البقرة/159].

وأعود الآن لأتحدث قليلا عن حقيقة التبليغ باعتباره فنا من فنون الخطاب القولي وأداة من أدوات التوصيل التي لا يُستغنى عنها وأسلوبا من أساليب التأثير وإعادة صياغة الواقع بما يتلاءم مع الحاجات المتجددة والتطلعات المشروعة، فالتبليغ في أساسه من أهم وظائف العلماء والمرشدين والخطباء والمعلمين والمحاورين لأنه الأداة التي بها يمارسون أعمالهم التثقيفية والتربوية ويؤدون واجباتهم الدينية التي فرضت عليهم بحكم وظيفتهم في مجال بث الوعي، وتصحيح المفاهيم، وتثقيف العامة، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم. فالمهمة التي تحملوها بإرادتهم تستوجب منهم الاضطلاع بأعباء

الإصلاح والعلاج والتثقيف، والطريق إلى ذلك هو ما يقدمه الخطيب والمدرس أو الواعظ من طرح المشكلات التي يعانيها المجتمع، وتحليل الأوضاع غير الملائمة التي تحتاج إلى إصلاح، وتطوير الواقع المتدهور الذي يعيشه الناس ويؤثر في سلوكهم، ونقد الأنماط السلوكية المنحرفة، وتسفيه الآراء التي تقلل من أهمية التربية الروحية، ولكن بالتحليل الموضوعي للواقع، واستخدام الحجج المنطقية، والاستدلال العقلي، الذي يفهم أصحاب هذه الآراء.

إن إصلاح الأوضاع، ومعالجة الأمراض لا يتم بذكر نماذج منها ولا بالتشجيع بها، وإنما بتحليل أسبابها، وذكر نتائجها، وخطورة انتشارها وواجبات الإنسان المسلم تجاه ذلك، وخاصة من كانوا يتحملون مسؤولية من المسؤوليات، ولا يتم العلاج كذلك بتقدم الحلول النظرية المجردة، لأن الفكرة النظرية التي لا تستطيع أن تنزل إلى الأرض وتلامس الواقع ولا تسهم في حل المشكلات لا قيمة لها، إن مخاطبة العقل والوجدان والروح بالأسلوب الذي ينفذ إلى عمق الإنسان، والسعي إلى تأكيد هذا الخطاب بالمعاني القرآنية وبالسنن النبوية هي الضمان لإحداث هزة نفسية لدى

السامع تعيد له صوابه إن كان ضالاً، واتزانه إن كان مضطرباً، وتهديه في حيرته إن كان حائرًا، وتزيل عنه الغشاوة إن كان لا يرى ما يجب أن يراه، فالخطاب فن من فنون القول، ووسيلة من وسائل التأثير في السامع، والتأثير الإيجابي هو الذي يستهدفه الخطيب وإلا فقدت الخطبة قيمتها ومشروعيتها وكذلك الأمر بالنسبة إلى الدرس الوعظي. ولكن التأثير في السامعين ليس ميسراً للجميع حتى ولو كانوا متساوين في القدرات وفي المعلومات، لذلك اعتبرنا التبليغ فنا من فنون العمل التربوي، ومهارة من مهارات حسن الخطاب، وهو سلاح كل من يمارس عملاً إرشادياً أو تعليمياً، والتدريس هو الآخر فن من فنون تلقين المعرفة وطريقة من طرائق تحريك الوعي لدى المتلقي، لذلك يجب أن يراعي فيه قواعد التبليغ.

فالدرس الذي يقدمه الواعظ يترجم جهداً من مجهود النشاط المسجدي وهو من ناحية أخرى فعل تربوي توجيهي هادف أساسه العلم وأداته أسلوب التبليغ الذي هو المعبر الذي ننفذ منه إلى نفسية السامع، لنغير ما يجب تغييره، أو ننمي ما يجب تنميته، حتى تتحقق وظيفة الدرس التي هي في الأساس إحداث تغيير إيجابي في

شخصية السامع بتحويله من حالة الغفلة إلى اليقظة، ومن حالة اللاوعي إلى الوعي ومن حالة الخلو من المعرفة إلى امتلاك المعرفة، وبهذا يتضح أن التبليغ فن من ناحية وعلم من ناحية أخرى، فن لأنه يتطلب طريقة في الأداء تتجاوز الطريقة المتبعة في الوظيفة الإخبارية العادية إلى الوظيفة التأثيرية التي تجعل الإنسان يستمتع بما يسمع، ويفهم ما يلقي عليه، ويتنفع بما يفهم، ويغير سلوكه وموافقة عن اقتناع، والتبليغ فن كذلك لأن المتكلم ينتقي الأحداث المثيرة، والموضوعات المتعلقة باهتمامات الناس، ويتخير الألفاظ والأساليب التي لها وقع على نفسية السامع، بحيث تستطيع أن تنقل المعنى نقلاً أميناً ومؤثراً، ويتطلب فن التبليغ من المتكلم -بالإضافة إلى ذلك- أن يجتهد في اصطناع طريقة للتبليغ متعددة المداخل، وتلائم مستويات الجمهور من جهة والبيئة التي يعيش فيها من جهة أخرى، والموضوع المعالج من جهة ثالثة.

ولكي يضمن لكلامه التأثير المطلوب يجب أن يكون التعبير الذي سيستخدمه بالنعمة الملائمة للمعنى لأن التنعيم جزء من العناصر المحددة لمعنى الكلمة أو الجملة، فالقراءة الرتيبة لنص معين أو لبيت شعري، أو لحكمة من الحكم أو سرد قصة

لها مغزى معين لا تؤثر في السامع، ولا تؤدي ما يراد منها.

ومن هنا فطريقة الأداء (رفع الصوت وخ

فظه وتكرار الأداء واختيار النبرة الملائمة) والإشارات المصاحبة تدرج ضمن الجوانب الفنية التي بها يكون التبليغ فنا من فنون القول وأداة من أدوات التأثير التي يحتاج إليها كل من يمارس فعلا تربويا أو توجيهيا دينيا لأن تحريك وعي الجماهير ليست عملية بسيطة ولا متاحة لكل أحد، ولكنها ليست مستعصية على كل أحد إلا على من كان جاهلا بوظيفة اللغة وخصائص التعبير وأساسيات التبليغ، والأمر هنا ليس عملا بسيطا لأن الخطاب في أساسه مرتبط بالمخاطبين والحالة التي يكونون عليها، والمخاطبون هنا ليسوا فئة واحدة، وليست ظروفهم واحدة كذلك، ولذا لا بد من أن يراعي الخطيب أو المدرس الحالة النفسية التي يكونون عليها كما يراعي الإطار الحضاري الذي ينطلق منه الخطاب والغاية التي يتوخاها في المدى القريب أو البعيد. وبهذا يؤدي التبليغ وظيفته ويحقق الخطاب رسالته.

والتبليغ من ناحية أخرى هو علم لأنه يتوخى تأكيد الحقائق العملية وتبسيطها للسامعين لتصبح في متناولهم، ويعتمد

قواعد الاتصال بين المتكلم والمتلقي (المرسل-المتلقي-الرسالة-الأداة التي تنقل الرسالة).

فأي خلل يحدث في هذه العناصر يعطل عملية الاتصال، ويضيع كثيرا من عناصر الرسالة (موضوع التبليغ) ومراعاة هذه القواعد تتطلب:

1/ أن تكون الفكرة التي يريد الواعظ تبليغها أو نشرها بين السامعين واضحة، وأن يكون إيمانه بها قويا، وشعوره نحوها صادقا، فبقدر ما يكون شعوره صادقا يكون تأثير الفكرة قويا.

2/ أن يراعي مستويات المستمعين سواء المستوى العلمي أو المستوى اللغوي، فالمتلقي الذي لا يستوعب الدلالة اللغوية يصعب عليه أن يدرك المعنى، ومن ثم فلا يحصل التواصل ولا يحقق التبليغ هدفه، وعليه ينبغي أن ينتقي المتكلم العبارات اللغوية التي تتلاءم مع مختلف المستويات، وإن تطلب الأمر البحث عن الألفاظ البسيطة والأمثلة الشارحة (والبساطة هنا لا تعني الإسفاف).

3/ اختيار الموضوع فالخطيب الذي يتناول موضوعات بعيدة عن اهتمامات الناس ومجردة قد لا نجدها في حياتنا اليومية لا يستطيع أن ينفذ إلى أعماق

الأحكام الشرعية وأدلتها وإدراك المعاني القرآنية متوقف على إتقان اللغة.

تربوية: لأنها تستهدف تربية الناس وإحداث التغيير المنشود في تفكيرهم وفي سلوكهم وفي معلوماتهم.

هذه هي عملية التبليغ التي هي وظيفة الخطيب والمدرس والواعظ والداعية، وكل من يمارس فعلاً تربوياً أو تثقيفياً أو توجيهياً دينياً، وعناصر هذه العملية.

هي المبلِّغ والمبلَّغ له والغاية المستهدفة والوسيلة المستعملة في التبليغ، فإذا كان المبلِّغ هو الخطيب أو المدرس أو الداعية فإن المبلَّغ له (المتلقي) عامة المسلمين الذي يأتون المساجد ويحضرُونَ الدروس والحلقات وهم مستويات عديدة، أما الغاية المستهدفة فهي كما يلي:

1/ تبصير الناس بما لهم وما عليهم في حياتهم الدينية والدينية تجاه أنفسهم وتجاه الناس جميعاً (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض) [القصص/77].

2/ تحريك الوعي لديهم بما يرفع مستواهم الفكري ويوجههم الوجهة التي تجعلهم أعضاء نافعين في مجتمعهم، واعين بما لهم وما عليهم.

المستمعين، ومن ثم فلا يؤثر كلامه فيهم، ولا يؤدي ما كان ينتظر منه. وكذلك: إذا كان يتقعر.

4/ طريقة الأداء هي الأخرى عنصر أساسي من عناصر التبليغ، فالذي لا يحسن الأداء ولا يتقن طريقة الوعظ، يكون كلامه ثقيلاً وبارداً وجافاً، فالطريقة الفنية تتطلب اختيار الأسلوب المثير الذي يجذب السامع، كما يتطلب تنظيم الأفكار وإيجاد معابر بين الفكرة والأخرى، وعدم الانتقال من جزئية إلى أخرى إلا بعد استيفاء المعنى فطرح الإشكال يتطلب التأني في الإلقاء ومعاودة الطرح والتساؤل، ثم بعد ذلك أي بعد تهئية الأذهان يتجه إلى تبسيط المعلومات وشرحها وترتيبها، وقد يفرض عليه الوضع أن يقول ويعيد القول، ويذكر العبارة ويشرحها بالعبارة المرادفة لها، أو بما يبين دلالتها.

من هنا يتبين أن التبليغ عملية فكرية ولغوية وتربوية في آن واحد:

فكرية: لأنها تتجه من ذهن إلى ذهن وتسعى إلى تحريك الفكر في الاتجاه المرغوب.

لغوية: لأن الأساس الذي تعتمد عليه في تبليغ الفكرة هو اللغة وفروعها، لأن فهم

3/ معالجة الهموم والإحباطات التي تعيش معهم، وتؤثر في قدراتهم، وفي إيمانهم، وتقلل من نشاطهم.

4/ تقوية الروابط الاجتماعية والتضامن والتكافل، وتنبيه المؤسسات الإعلامية والتربوية وغيرها إلى دورها في هذا المجال، لأن تربية الناس وتوجيه سلوكهم ليست مهمة المسجد وحده.

5/ تصحيح المفاهيم وتوضيح الحقائق الدينية والأخلاقية التي ينبغي أن يفهمها الناس ويطبقوها في حياتهم حتى لا يتصوروا أن الدين مجرد صلاة وصيام وتردد على المساجد في بعض المناسبات، وحتى لا يتصوروا كذلك أن الأخلاق مجرد أقوال وصفات نقولها للناس ولا نعمل بها، أو لا ندرجها في حياتنا اليومية، وهذا ما يسميه بن مسكويه بالفضائل المحايدة، فالفضائل عنده ليست أعداء بل هي أفعال وأعمال نأتيها وتظهر عند مشاركة الناس ومساكنتهم وفي المعاملات وضروب الاجتماعات ونحن إنما نعلم وتتعلم الفضائل الأساسية التي نساكن بها الناس ونخالطهم ونصير على أذاهم لنصل منها وبها إلى سعادات آخر⁽⁴⁾. ولهذا هاجم الفضائل المحايدة التي يدعو إليها الزهاد.

6/ محاربة بعض السلوكات التي تضر بالمجتمع وتسبب إليه مثل النزعة العرقية

والتمييز العنصري والمحابة الجهوية والظلم وأشكاله، والغش ومظاهره، والاختلاس وأنواعه، والخيانة والاستهانة بالقيم .. الخ.
7/ تقوية الوازع الديني والأخلاقي في نفوس الناس.

8/ محاربة اليأس والكسل والارتخاء الفكري والتخاذل النفسي.

الوسيلة: إن وسيلة التبليغ هي اللغة، فكلما كانت اللغة واضحة ودقيقة والنبرة الصوتية ملائمة للمعنى ومؤيدة للغرض المراد أدى التبليغ وظيفته وأحدث التغيير المرغوب.

إن انتقاء العبارات واختيار الألفاظ من أساسيات التبليغ، وقد تصبح العبارات اللغوية وأساليب التعبير عائقا من عوائق التبليغ، إذا لم يراع في صياغتها ما يجعلها سلسلة واضحة بعيدة عن التحذلق والتعقّر والغرابة.

الشروط: ولتحقيق هذه الغايات يتعين توافر جملة من الشروط والمواصفات التي يجب أن يمتلكها الممارس للخطاب المسجدي منها:

أ/ أن يكون صادقا وأميناً في أقواله وفي أفعاله.

ب/ أن يكون عالماً بما يجب تبليغه، متمكناً من العلوم التي لها صلة بموضوع حديثه، وباللغة التي هي أساس خطابه.

ح/ أن يحضّر الدرس أو الخطبة تحضيراً ذهنياً مركزاً بحيث تكون الأفكار والمعاني المراد شرحها مرتبة في ذهنه وواضحة لديه.

ط/ أن يحاول في أثناء الإلقاء أن لا يرتبط كثيراً بقراءة ما كتب إن كان قد أعد درسه أو كلمته كتابياً، لأن ذلك يفقده أهم عنصر من عناصر التبليغ الجيد وهو رؤية الناس بحيث تكون نظراته متصلة بالناس متفاعلة معهم).

ي/ أن تكون الإشارات المصاحبة للأداء معبرة ومعينة على الفهم، يقول الجاحظ في هذا الساق: «إن الإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه»⁽⁵⁾.

ج/ أن تكون الأمثلة التي يسوقها في مجال الاستدلال وتجسيد الأفكار من واقع الحياة، وهذا يتطلب منه أن يتعمق في دراسته لواقع الشعب ليعيش الحقائق التي تحيط بالناس.

د/ أن يكون أدائه غير متقطع (لا يقف فيما لا يجوز الوقف فيه ولا يصل فيما لا يجوز الوصول فيه).

هـ/ أن يتجنب الألفاظ الغريبة والتراكيب المعقدة والاستعمالات الملتوية.

و/ أن يحترم قواعد اللغة ومخارج الحروف وصيغ الكلمات (الشّد، المد، الإدغام) وكل ماله صلة بالنطق الصحيح.

ز/ أن ينتقي الاستشهادات التي يستدل بها سواء من القرآن أو من الحديث أو من الأحداث التاريخية الحية أو من الأقوال المأثورة ذات الدلالة العميقة.

الهوامش

- (1) عبد القادر فضيل: إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس: 61.
- (2) نفس المرجع.
- (3) نفسه: 180.
- (4) الفكر التربوي العربي الإسلامي تونس 1987، ص: 584.
- (5) مجلة التربية: العدد 104، السنة 22، مارس 1993، ص: 180.